النزعة القومية التحررية في الشعر العربي المعاصر

بقلم
خضر عباس الصالحي

في هذه الحقبة الملأى بالاحداث العظيمة التي يمر بها الوطن العربي، بات واجبا مقدسا على الشاعر الموهوب ان يرصدها ويعكسها بصدق ، ويعبر عنها بعمق ، ويرسم لبلاده طريق الامل المشرق والمستقبل الزاهر، ويدفعها الى مواصلة الكفاح المرير لتحقيق اهدافها العظمى ، ويضاعف امالها ، ويشيع في جوانحها حب التضحية والفداء لمقاومة الطغيان والفساد ، لترد اعتبارها وتعيد هيبتها ، ولحفظ كرامة الانسان وممارسة الحريات العامة ، وان يربط مصيره بمصير امته التي انجبته يستلهم مثلها ويعي احداثها ، ويتفاعل مع الامها وازماتها القوية تفاعلا ايجابيا عميقا ، ويمتزج بها امتزاج عاطفة وشعور ، يؤمن بالشعب الذي تنبثق من صميمه كل القيم الرفيعة ، يشاركه افكاره ويتحسس رغباته ، وتكون بؤرة اهتمامه الفكري في قوة عاطفته الوطنية ، وصدق احساسه بانسانيته ، ويجعل شعره مرآة قوية للحركات الشعبية ، وان تكون التقدمية طابعه الاصيل في الدعوة نحو فن جماهيري جديد ينبع من اعماق الشعب ، وهو منساق مع احداث قومه في كل انتفاضة تهيب به ان يترنم بالشعر الثوري ، فيبعث من لسانه شعرا ثوريا نضاليا يدفع بالجماهير الى الكفاح ، للتحرر من قيود الاستعمار الغاشم ، ورفع مستوى معيشتها ، وتنمية طاقاتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ولصيانة السلام على اساس تحرري ديمقراطي ، وما اروع قول الشاعر الفلسطيني معين بسيسو في هذا المجال :

انا لااخاف من السلاسل فاربطوني بالسلاسل
من عاش في ارض الزلازل لا يخاف من الزلازل
لن تطفئوا مهما نفختم في الدجى هذه المشاعل
الشعب اوقدها وسار بها قوافل في قوافل
قد اقسموا والشمس ترخي فوقهم حمر الضفائر
ان يطردوا من ارضنا الخضراء تجار المقابر
ويجردوا التاريخ من قلم المغامر والمقامر

ولعل اعظم حدث مرت به الشعوب العربية في تاريخها الحديث هو اغتصاب اليهود لفلسطين التي تعتبر قلب العروبة النابض ، ففي شهر مايس من سنة ١٩٤٨ انسحبت القوات الانكليزية منها وسلمتها لقمة سائغة لاشداق الصهاينة حيث مثلوا على مسرحها ابشع الملاحم الدموية ، وارتكبوا افظع الاعمال الوحشية ، وطردوا اهلها الشرعيين البالغ عددهم زهاء مليون ونصف عربي ليتحملوا الوان الفاقة والبؤس ويتجرعوا الام الغربة والجوع والتشرد . والشاعر العربي سعد دعبيس في غمرة هذه الاحداث الجسام ينقل لنا مآسي اللاجئين باخلاص ، متأثرا بها والايمان الصادق يشده بعدالة قضية امته العربية التواقة للحرية والكرامة فيقول :

في ليلة العيد السعيد ذكرت مأساة الرحيل
وابي ومصرعه ونظرته الاخيرة في ذهول
ونداء اختي ما يزال يرن في قلب السهول
الجند ادرك يا اخي .. النار تفترس الحقول
الجند يغتالونني ، ايديهمو امتدت الى جسمي النحيل
عرضي وعرضك يا اخي قد داسه اللص الدخيل
ما زال يا اختي يرن صداك في ليلي الطويل
وحطام منزلنا ونخلتنا ومرعانا الظليل
ودموع امي لم تزل تدعو لثأر ابي القتيل
ما زلت يا اختي اراك واذكر اليوم الحزين
اني اراك وانت في ايدي اللصوص تعذبين
وتحاولين بادمع خرساء ردع الظالمين
وتمزقين يد اللصوص وهم بجسمك يعبثون

والشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد يعبر عن مأساة طفل عربي قتل اليهود اباه وامه امام عينيه وحرقوا قريته الوادعة ، فتنعكس في ذهنه هذه الصور الشعرية فيسكب فيها كل ما في اعماقه من تصدع واحزان ، ومعاناة انسانية ، فيستجيب لها وينفعل معها ، ويصدر عن تجربة نفسية حقيقية فيقول :

ومشى الجند .. مشوا من فوق امي
وانا اصرخ من رعب ومن بؤس ملم
وتكاد الخيل ان تدفن فوق الدرب جسمي
غير ان العمدة المسكين يحميني ويهتز ليتمي
واجتمعنا خارج القرية في سفح الجبل
وبدت قدامنا قريتنا نبع الامل
تأكل النار نواحيها وتجتاح القلل
ورأينا بيتنا المحبوب في النار اشتعل
من هنا قد بدات ماساة عمري
بدأت قصة الامي واحقادي وثاري
من هنا قد شبت النيران في اعماق صدري
وتعلمت لماذا حفر الجلاد قبري

والشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان تصور مدى التضحيات الجسيمة التي يقدمها الشعب الفلسطيني على مذبح الحرية والفداء في نضالاته التحررية الواعية للثأر لارواح عزيزة غالية احرقتها نيران اليهود ، ارواح الشهداء الذين كانوا يدفعهم الامل لبناء كيان امتهم التواقة للعزة والكرامة في تصميمهم الهائل ، وتضحياتهم الفذة ، ونضالهم المثابر وهم يشعرون بحرارة الايمان تتوهج في دمائهم ، فتقول :

وقد نفرت في جموع الابـاء نسور الحمى للحمى تفتـدي
دعاها نفير العـلا والجهـاد فهبـت خفـافا الـى الموعـد
تذود عن الشرف المستبـاح وتدفع عنه يـد المعتـدي

وتقتحم الهول مستحكما وتسخر باللهب الموقد
فتنقض مثل القضاء المتاح وتهبط كالاجل الارصد
وليست تبالي وجوه الردى كوالح في الموقف الاربد
فيا للحمى كم حمي ابي تجدل فيه وكم اصيد
اباحوا له المهج الغاليات واسقوا ثراه دم الاكبد

والشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب يمر بتجربة عاطفية عنيفة ، ويذوب حنينا الى دار طفولته في فلسطين وتطوف به ذكريات صباه ، ومراتع شبابه ، وتتمثل له بشاعة الفواجع التي احدقت باللاجئين العرب فينتفض ماردا جبارا ويتفجر الشعر في اعماقه كما تتفجر ينابيع الماء السخية ، واذ تمسه احداث قومه يلتهب ويتأجج قائلا :

عهدي بدار طفولتي سحرية الصور
مغسولة الربوات في شلالة القمر
اواه كم امسية عربية السمر
كانت لنا في كل رابية ومنحدر
كم سرحة عند الاصيل ويقظة السحر
بسلالنا ملء الربى ومسارب الشجر
قسما بكل غريبة المنفى ومغترب
بالنازحين على مرامي اعين الشهب
سأظل احرق شمعتي واذوب في لهب
وازفهم خمري واحيا العمر في سغب
سأظل ادفع قاربي في الصاخب اللجب
حتى اطل به على دوامة الحقب

وفي وصف ماآل اليه حال اللاجئين العرب من شقاء وشظف وحرمان يقول الشاعر الفلسطيني ابو سلمى :

اهلي على الدهر تدميني جراحهم في حبهم يتساوى العذر والعذل
خيامهم في مهب الريح ممولة ودورهم من وراء الدمع تبتهل
تقاذفتهم دروب العمر دامية وانكرتهم ربوع الاهل والملل
على المشارف اعراض ممزقة وفي كهوف الربى الانسان مبتذل
في كل ارض شظاياهم مشردة وتحت كل سماء معشر ذلل
اطوف احمل اني سرت نكبتهم كأنني طيف ثأر والحمى طلل

وفي فجر الخامس من تشرين الثاني ١٩٥٦ انزلت فرنسا وبريطانيا قواتهما المعتدية الاثمة في بور سعيد التي اعملت فيها السنة اللهيب اتبعه هجوم اسرائيل الغادر على قطاع غزة العربي ، فعانت بور سعيد المدينة الباسلة من الاهوال والكوارث ما لا يمكن وصفه وصمدت صمود الابطال ، ولم تكترث لكل ما صبه عليها المستعمرون من نار وحديد ، فاسترخص اهاليها الحياة على مذبح الاخلاص للوطن ، وانخرطوا في سلك المقاومة الشعبية ، وصمموا انيموتوا دفعا عن اعراضهم، عن كرامتهم كمواطنين ، عن حقهم في الحياة الحرة كبشر ، وقد بلغت المعركة اوج ضراوتها ، ولم يلبث بولغانين ان بعث الرسائل الى ايدن وموليه وبن غوريون وايزنهاور معبرا فيها عن اصرار الاتحاد السوفياتي على ابادة المعتدين ، واعادة السلام الى ربوع الشرق الاوسط ولوح لهم بانه سيضطر الى استخدام القذائف الصاروخية الذرية وارسال المتطوعين الى مصر ، وفي منتصف ليلة السادس من تشرين الثاني تلقت القوات الانكلو فرنسية امرا بالكف عن اطلاق النار تحت وطأة الضغط الدولي ، واذعانا لصوت الضمير العالمي ، وافتضحت الشعوب الواعية سر المؤامرة الدنيئة التي دبرها الانكليز والفرنسيون مع اسرائيل اللقيطة ، بحيث يكون تدخلهما خلف ستار وقف العدوان الذي تشنه اسرائيل المجرمة على مصر . اسرائيل التي اعدها الاستعمار البغيض لتكون قاعدة ضد النضال التحرري الذي تقوم به الشعوب العربية دفاعا عن حقها في تقرير مصيرها ، والقضاء على كل ما يعوق تطورها الانساني ، وازاء هذا الطوفان الغامر من الوعي والتحفز ، ساهمت النخبة الخيرة من الشعراء الواعيين في ايقاظ الشعور بالكرامة والانفة ، والوقوف صفا واحدا متراصا تجاه سفاكي دماء الشعوب التي تريد ان تبني الحياة ، وتشق طريقها الصاعد نحو القمة بعزم وثبات ومضاء . للوصول الى شرف الغاية المثلى التي تصبو اليها ، فيقول الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي في قصيدته (بور سعيد) التي لم تكن غير عالم نابض بالمعاني والصور النابعة من مخيلته واحاسيسه المستوفزة :

على رخام الدهر ، بور سعيد
قصيدة مكتوبة بالدم والحديد
قصيدة عصماء
قصيدة حمراء
تنزف من حروفها الدماء
تطل من ابياتها بنادق الانصار
واعين الصغار
على جبين الشمس ، بور سعيد
مدينة شامخة الاسوار
شامخة كالنار
كالاعصار
في اوجه اللصوص
لصوص اوربا من التجار
من مجرمي الحروب
وشاربي الدماء
عبر جدار الموت ، بور سعيد

صدر حديثا عن دار بيروت ودار صادر

		ق.ل.
ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات		٦٠٠
مصارع العشاق	للسراج جزآن	١٢٠٠
كفاحي ((الترجمة الكاملة))		٦٠٠
كارل ماركس	ترجمة محمد عيتاني	٥٠٠
دمعة صلاح الدين	خليل الهنداوي	١٧٥
في مهب الريح	ميخائيل نعيمه	٣٠٠
همس الجفون	((((	٣٠٠
الاباء والبنون	((((	٢٥٠
مذكرات الارقش	((((	٢٥٠
على بساط الريح	فوزي المعلوف	١٢٠٠

نظمها ابان العدوان الثلاثي على مصر ، زخم زاخر بنماذج رائعة من الصور الانسانية ، يشيع فيها فيضا من الاثارة والتمرد ، والتعبير العميق عن مشاعر الانسان ، وتحشيد طاقاته ، وتجميع قواه ضد الارهاب التعسفي الذي يطحن امانيه في الصميم ، ويسخر من نضاله الدموي الرائع لتوطيد اسس السلام العالمي الذي لم يكن غير سهم قاتل يمزق قلب الاستعمار فيقول :

ساقتلك
من قبل ان تقتلني ساقتلك
من قبل ان تغوص في دمي
اغوص في دمك
ونحن في حاضرنا المجيد نصنع السلام
هدية من شعبنا للعالم الجديد
العالم الذي يريد
يريد للرجال ان يعانقوا الرجال دون حقد
يريد للنساء ان يغفين وادعات
في اذرع الازواج والاحباب والابناء
اهل بلادي يصنعون الحب

صدر حديثا

ايام في القاهرة

للكاتب العربي الكبير الاستاذ

صدر الدين شرف الدين

كتاب خطير يعالج مشكلات الاجتماع والسياسة والفكر

وفقا للاتجاه العربي التقدمي الحاضر، ويقوم على الوضوح

والتركيز والعمق والشمول

منشورات

دار الاندلس ـ بيروت

كلامهم انغام
ولغوهم بسام
وحين يسغبون يشبعون من صفاء القلب
وحين يظمأون يشربون نهلة من حب
لان من ذرى بلادنا ترقرق السلام
ورقة بيضاء كالازهار في الخميل
ورحمة زهراء
كقلب امهاتنا
كفرحنا بعيدنا
وانت يا مدنس الخطى
تريد .. بئس ما تريد
لكنني ساقتلك
من قبل ان تقتلني اغوص في دمك

اما الجزائر الصامدة المؤمنة بحقها في الحرية والاستقلال فقد جربت جميع الطرق السلمية لحمل فرنسا على تحقيق امانيها الشعبية ولكن كل المحاولات ذهبت سدى فأشهرت السلاح بوجه الاستغلال والاستثمار في اول تشرين الثاني عام ١٩٥٤ وتكونت نواة جيش التحرير الوطني الذي راح يقض مضاجع الفرنسيين بحرب عصابات لا هوادة فيها ، وكانت العمليات الحربية في البداية مركزة في جبال اوراس وشمال قسطنطينه ومناطق القبائل ، ولكن لم تلبث ارض الجزائر ان اصبحت برمتها مسرحا لثورة وطنية جامحة تدعمها القوى الشعبية الواعية ، وتعتبر امتدادا حيا شاملا لمعركة الشعوب العربية المقبلة ضد الظلم والاستبداد ، وفي نفس الوقت انبثقت من صميم الشعب الجزائري الباسل هيئة سياسية هي جبهة التحرير الوطني التي دعت الى الكفاح الدامي ، فلبى الدعوة المدوية العمال والفلاحون والتجار والموظفون ورجال الفكر وسجلوا لهم تاريخا لامعا في ميدان يفوق التصور حيث اجهزت على العزل الآمنين بالطائرات والمدافع والبوارج فقتلت اكثر من نصف مليون جزائري بينهم الشيوخ والنساء والاطفال ، وهاجر زهاء اربعمائة الف الى مراكش وتونس، والتجأ البعض منهم الى الكهوف وبين الجبال الوعرة وعلى منحدرات السفوح، وامتلأت السجون ومعسكرات الاعتقال بالوطنيين الاحرار الذين لاقوا صنوف الاهوال لانتزاع الاعترافات منهم كأستعمال التيار الكهربائي المسلط على الاذن والاعضاء التناسلية ، او وضعهم في الشمس المحرقة داخل قفص من الحديد ، او حملهم على عصا وهم عراة مع تقييد ارجلهم وايديهم وضربهم بالاسواط الجلدية واغلاق الابواب على اصابعهم وادخال السكين في لحومهم وتركهم على الارض عدة ايام والدماء تنزف منهم او بالقائهم من الطائرات ، واجبار النساء الجزائريات على افشاء الاسرار وتهديدهن بذبح اطفالهن ... وعلى

صامدة كالبحر
لا تنام
يخوضها في ساحاتها السلام
معركة الحياة
تحرسه بنادق الانصار
واعين الصغار

وفي قصيدة الشاعر المصري صلاح عبد الصبور (سأقتلك) التي

الرغم من كل اسلحة الفتك والفناء والدمار، وملاحقة نيران المستعمرين الحاصدة ، يواصل الشعب الجزائري كفاحه الشاق الطويل مهما كانت التضحيات وعظم الفداء وهو مؤمن بأن كل الشعوب المحبة للحرية والسلام ، ستهب لنجدته ، ومد يد العون له ضد العدوان السافر الاثيم الذي يحاول استغلاله واذلاله وسوقه الى مجازر دموية فوق اكداس من الاشلاء المجبولة بالدم الموار ، وما برح المناضلون الابرار يستبسلون في القتال ويتساقطون في ساحات الشرف وهم طليعة الوعي الثوري الذي يتغلغل الى ابعد اعماق النفوس ، وان الاستعمار الذي يسعى جاهدا لخنق هذا الوعي وهدم الكيان العربي وايقاف التيار الجامح والرجوع بالتاريخ القهقرى ، واخماد لهيب الانبعاث الكبير الذي اطلق الشعب شرارته المضطرمة ، انه صائرحتما الى الزوال ، وان الفجر الذي كنا نترقب انبثاقه والذي يتيح لنا سبيل التحرر والنصر قد انبلجت انواره في آفاق حركة التحرر الوطني التي تجتاح العالم العربي كله وقد ابى ان تدنس أرضه الطيبة اقدام المستعمرين الذين نصبوا انفسهم مدافعين عنه ، حماة له .

والشاعر السوري نزار قباني في قصيدته (جميلة بوحيرد) يصور ما تلاقي هذه البطلة الجزائرية المناضلة من تعذيب على ايدي الجلادين اعداء الشعوب وهي مثل صارخ لما يتحمله الشعب الجزائري بأكمله من تنكيل دموي رهيب فيقول :

الاسم جميلة بوحيرد
اسم مكتوب باللهب
مغموس في جرح السحب
في ادب بلادي في ادبي
العمر اثنان وعشرونا
في الصدر استوطن زوج حمام
والثغر الراقد غصن سلام
امراة من قسطنطينه
لم تعرف شفتاها الزينه
لم تدخل حجرتها الاحلام
لم تلعب ابدا كالاطفال
لم تغرم في عقد او شال
لم تعرف كنساء فرنسا
اقبية اللذة في (بيغال)
اكلت من نهديها الاغلال
اكل الانذال
من جيش فرنسا المغلوبه
القيد يعض على القدمين
وسجائر تطفأ في النهدين
ودم في الانف وفي الشفتين
وجراح جميلة بوحيرد
هي والتحرير على موعد
مقصلة تنصب والاشرار
يلهون بانثى دون ازار
وجميلة بين بنادقهم
عصفور في وسط الامطار
الجسد الخمري الاسمر
تنفضه لمسات التيار
وحروق في الثدي الايسر
في الحلمة في.. في.. يا للعار

والشاعر السوري سليمان العيسى المهاجر من بلدته لواء الاسكندرونه

قريبا جدا :

الديوان المنتظر

عائدون !

لشاعر المأساة

يوسف الخطيب

قصائد رائعة تغني العودة الى

الارض السليبة الحبيبة

دار الآداب ـ بيروت

العربية بعد ان قدمها المستعمرون اكلة باردة الى تركيا ، يتغنى ببطولة الشعب الجزائري الذي يأبى ان يسام بالخسف والمذلة ، وهو شعب جدير بالحياة والسيادة والحرية ، فيعبر عن آماله ويصور الايمان الحار الذي يكمن في صدور ابنائه فيقول في قصيدته (ملحمة الجزائر) السخية في معانيها ومدلولاتها ..

روعة الجرح فوق ما يحمل اللفظ ويقوى عليه اعصار شاعر
اأغني هديرها والسماوات صلاة لجرحها ومجامر
اناجي ثوارها ودوي النار ابياتهم وعصف المخاطر
بين جنبي عبقة من ثراها ونداء ـ اني تلفت ـ صاهر
ما عساني اقول والشاعر الرشاش والمدفع الخطيب الهادر
والضحايا الممزقون وشعب صامد كالاله يسلوي القادر
فوق شعري وفوق معجزة الالحان هذا الذي تخط الجزائر

*

يا قلاع الطفاة قد نفض العملاق عن جفنه عصور الضباب
سفحتنا الصحراء فجرا سخيا بالبطولات بالعتاق العراب
امة ظنها الغزاة اضمحلت وتلاشت وراء الف حجاب
من احال الجبال زأر براكين وجدران معقل غلاب
يتحدى قوى الجريمة في الارض فتبدو كسيحة الانياب
انها امتي تشد جناحيها فوجه التاريخ فجر انقلاب

ان الشعر العربي المعاصر ناضل بعزم واصرار ، من اجل تركيز المعاني الانسانية المتطورة ، وظل صدى معبرا واستجابة صادقة للاحداث الهامة التي جابهتها الامة العربية واستقطابها من جميع ابعادها ومراميها ، وتجسيد اهدافها الوطنية وقيمها الشعبية ، وتدعيم ثورتنا العربية ، وتعميق جذورها ومتابعة نضالها البناء العنيف ، وواكب جيلنا ، انه جيل التمرد واليقظة الخلاقة ، الذي اراد له اذناب الاستعمار وعملاؤه ان يهوي الى دركات سحيقة من التردي ليؤخر سير الزحف الكبير. غير ان الوعي الصاعد قد اكتمل ، ولم يكن غير طاقة كامنة في ضمير الشعب ، فصارت الحاجة الملحة والضرورة التي تفرض نفسها على الشعر وماله من دور فعال في تطوير المجتمعات والنهوض بها ، ان يكون ذا عقيدة مدركة واعية ، ومرآة صافية تنطبع فيها صور الحياة ، ويبلور اتجاهاتها ، ولا يستهدف اي اتجاه غير المجتمع ، وان يحدو ركب الشعب السائر قدما الى قمة المجد ليشيد صرح عالمه الامثل الذي ينشده !..

الجمهورية العراقية ـ بغداد **خضر عباس الصالحي**

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت شارع سوريا ص.ب. ٣١٧٦ تلفون ٢٧٩٨٣

تاريخ العلامة ابن خلدون

يسر دار الكتاب اللبناني ان تزف البشرى الهامة الى جميع وزارات التربية والتعليم وجميع المؤسسات الثقافية في البلدان العربية :

انها تعلن عن قرب انتهاء طبع الموسوعة الكبرى للعلامة ابن خلدون ، وقد انتهت الان من طبع المجلد الخامس ، وقريبا جدا ينتهي طبع المجلد السادس ، ثم يتبعه المجلد السابع . ان دارنا اذ تلفت أنظار جميع هذه المؤسسات وجميع الادباء والعلماء في الاقطار العربية ان ثمن المجموعة الان مئة وعشر ليرات لبنانية تحث من يهمه امر اقتناء هذه الموسوعة على الاسراع بحجز مجموعته ، اما عن طريق الناشر رأسا او بواسطة المكتبات الكبرى في العالم العربي ، مع العلم بان ثمن المجموعة الكاملة سوف تصبح عند انتهاء الطبع ، اي بعد مضي ثلاثة اشهر ، مائتين وعشرين ليرة لبنانية .

هذا وقد صدر حتى الآن خمسة وعشرون جزءا، ولم يبق الا ثمانية اجزاء فقط ، ونلفت نظركم ايضا الى الفهارس العلمية الهامة والى ان النسخ محدودة . فبادروا الى اقتناء نسخكم .